# البنية الاجتماعية والثقافية مهيمنًا باعثًا على العُزلة في شعر فوزي كريم

معاذ ناصر عمران أ.د. أناهيد ناجي فيصل
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار
MaadNasirImra@utq.edu.iq

**الملخص :**

لابُدّ للشاعر أن ينتمي جغرافيًا وتاريخيًا لبنية اجتماعيّة وثقافية تُبرز ملامحه وسماته، وفوزي كريم كأحد شعراء الستينات في العراق كان قد وعى على حقبة صاخبة من جميع المستويات، فحتّم عليه دوره كشاعرٍ يحملُ رسالة سامية إلى تبيان رؤاه وموقفه تجاه قضايا المجتمع والثقافة، ولم يكن الأمر بالبسيط كما نتصوّر، فحقبة الستينات كانت تشهدُ تنوّعًا ثقافيًا كبيرًا، فهناك ما هو تحزّبي، وهناك ما هو ايديولوجي، لِذا كانت مهمّة فوزي كريم كيف يعزل القصيدة عن هذا الجو المحتشد ليخلصها إلى جانبها الإنساني، فالتعارض الذي تمّ بين رؤية الشاعر والواقع الاجتماعي والثقافي أدّى به إلى أن يركن للعُزلة.

الكلمات المفتاحية : (البنية الاجتماعية والثقافية، العُزلة، فوزي كريم).

# The social and cultural structure is dominant and causes isolation in Fawzi Karim's poetry

MAATH NASIR IUMRAN Dr. ANAHEED NAJI FAISAL
University of Thi – Qar / College of Education for Human Science
MaadNasirImra@utq.edu.iq

## Abstract:

The poet must belong geographically and historically to a social and cultural structure that highlights his features and characteristics, and Fawzi Karim, as one of the poets of the sixties in Iraq, was aware of a tumultuous era at all levels, so his role as a poet carrying a lofty message required him to express his visions and his position towards issues of society and culture, and the matter was not simple. As we can imagine, the era of the sixties was witnessing great cultural diversity. There was what was partisan, and there was what was ideological. Therefore, Fawzi Karim's task was how to isolate the poem from this crowded atmosphere in order to extract it from its human side. The conflict that

occurred between the poet's vision and the social and cultural reality led him to To rest in isolation

Open in Google Translate.

Key wordS : (Social and cultural structure, isolation, Fawzi Karim).

لم يَعد النّصّ الشّعري ممثّلًا عن صوت الشاعر وحده فقط، وإنّما هو صوت الجيل وصوت الثقافة والمجتمع والايديولوجيا، تلك المهيمنات النسقيّة التي تقوم بتشكيل الظرف والجو الذي يُولد فيه النّصّ الشّعريّ، لِذا فَ ((ارتباط الأديب بقضايا عصره على اختلاف أنواعها، وبمشكلات الحياة في المجتمع الذي يعيشُ فيه ... ليس شيئًا غريبًا على طبيعة الأديب، فنحنُ نفترض في الأديب المعاصر حصيلة وافرة من الثقافة والخبرة، فضلا عن حسٍّ مرهفٍ وإدراكٍ سليم للأمور، ودقّة في ملاحظته الحياة في تصوّرها الظّاهري والباطني))[١]، هذا ما جعل الشاعر يتبنى موقفا رافضا لما يجده مخالفا للواقع الإنساني، وما العُزلة التي يلجأ إليها إلّا ردّة فعل على ذلك، فإذا ما أردنا أن نبحث عن أسباب عُزلة الشاعر، فإنّنا نجدها بفعل مهيمنات باعثة على حضورها وتمثّلها في النص الشعري للأديب.

وانطلاقًا من هذا المعنى، يستدعي أن تكون البنية الاجتماعية والثقافية إحدى أهم العناصر المهيمنة على ذات الشاعر والباعثة على عُزلته، حيث أنّ الأديب بطبيعته ((كائن اجتماعي، له رأيه في المسائل الاجتماعية والسياسية، في بلده، وغالبا ما يملي عليه هذا الرأي ولاؤه وأيديولوجيته المتصلة بهذه الطبقة أو تلك))[٢]، فهو ولا شك جزء من هذه البنية وما تنطوي عليه من ثقافة وطرق للتفكير والانتماء، وما ينتج عن ذلك من أعمال أدبيّة فهي ليست سوى تعبير عن ثقافة وأيديولوجية العصر الذي يعيشه الأديب[٣]، فالنتاجات الأدبية هي ((أماكن تُعبّر فيها الايديولوجيا عن نفسها من غير أن يكون الكاتب على وعي بذلك))[٤]، ثم إن الشعر يحمل قيمة اجتماعية تلزم الشاعر بالكتابة والتعبير عن قيم الجماعة، وليس له أن ينتزع ذاته من بنية الجماعة التي تكتنفه، وبذلك فهو يستعمل اللغة بوصفها معطى اجتماعي يظهر عبرها مشاعره ورؤاه[٥]، وعندما نتعامل مع النص الشعري فإننا ((في الوقت نفسه نتعامل مباشرة مع الواقع الاجتماعي والثقافي والإديولوجي))[٦] الذي ينتمي إليه صاحب النص، وبهذا فإنّ ((أدوات الفنان، إلى حدٍّ معين، كامنة في حقيقة التذوات (أي التفاعل بين الذوات) ذاتها))[٧] .

ومن هنا تُعرّف البنية الاجتماعية بأنّها مجموعة من الأفراد تحكمها مجموعة من العلاقات داخل المجتمع، فالصراع الطبقي والتقاليد والدين والمعتقد هي عناصر تكوّن نسيج البنية الاجتماعية وتزيد من ترابطها وتماسكها[٨]، وبذلك يكون المجتمع ليس مجرّد مجموعة من الذوات الفردية التي تشكّل بنيته السوسيولوجية، وإنّمَا ذلك الفضاء الذي يضم مجموعة من العلاقات التي تحكمها الظروف الاجتماعية والصراع الطبقي، والأعراف والتقاليد[٩]، وإن قلق الشاعر الحديث متأتٍّ من ((طبيعة النظم الاجتماعية الحديثة وما خلقته من وسائل الانتاج والتوزيع، وما يترتب على ذلك من ضرورة المواءمة بين الإنسان وهذه النظم، قد زاد من شعور الفرد بالعُزلة))[١٠]، فالشاعر ينتج نصّه ضمن بنية اجتماعية، وفي ظل قواعد يلتزمها المجتمع تفرض هيمنتها على نتاجه[١١]، فهو جزء من هذه المنظومة القيمية وموروثها الثقافي، فتراه ينفعل لقضايا المجتمع فيؤذيه الاهمال والتفاوت الطبقي والتمييز العنصري وايثار القوة على العقل، والتي ينتج عنها سحق للطبقات الفقيرة وتلاشي العدالة الاجتماعية[١٢]، وهذا القلق الذي يرافق الشاعر الحديث مصدره ((انهيار البنى العتيقة لمجتمعه، ومن الفراغ الحاصل الذي تضيع فيه حدود " التماهي " على صعيد الفرد والجماعة))[١٣]، ولكنّه يختلف بامتلاكه رؤية عابرة للواقع ينبثق عبرها نصّه الذي يمثّل رؤيته تجاه الصراع داخل البنية الاجتماعية والثقافية، وإنّ هذا التداخل بين البنية الاجتماعية والثقافية مرجعه إلى أنّه لا يمكن أن ندرس الظاهرة الاجتماعية دون أن نحيط بمبناها الثقافي الذي تشكّله المعتقدات والقيم والآراء والمفاهيم، فالأسرة ترتبط بالدين والمعتقد من جهة وترتبط بالواقع السياسي من جهة ثانية، وبالتفاوت الطبقي من جهة ثالثة، وما ينجم عن ذلك من صراعات ثقافية بالدرجة الأولى[١٤] .

وأمّا البنية الثقافية فتعرّف بأنها ((مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع))[١٥]، والملاحظ من هذا التعريف أن هناك شبه امتزاج يصعب فصله بين البنية الثقافية والبنية الاجتماعية، فالشاعر بوصفه ذلك العضو المنضوي تحت بنية اجتماعية وثقافية، ينظر إلى الأشياء بواسطة منظاره الذي يرى به الأشياء طبقًا لدعواه، لا طبقًا للأشياء ذاتها[١٦]، وهو ما يصنع نوعًا من التعارض بين الأديب وواقعه الاجتماعي والثقافي، وبذلك يُفهم الشعر أولًا؛ بأنّه ممارسة متميّزة وملموسة لها استقلالها الخاص، وثانيًا؛ يكون بمثابة الخطاب الذي يشكّل جزءًا من التكوين السوسيولوجي وعنصرًا

في كيان بنية اجتماعية يخضع بذلك لطبيعة قوانينها، ويكون طرفا في العلاقات الاجتماعية[١٧]، فالشاعر لا يعبّر عن الحياة بمعناها المجمل، وليس بالضرورة أن يكون انعكاس للموقف الاجتماعي الذي يعيشه، وإنّما هو يُعبّرُ عن تجربته وعن رؤاه ومفهومه الشامل للواقع[١٨]، فالأبنية اللغوية التي يحتويها النص الأدبي، تكتسب تفسيرها عبر النظم الحضارية والثقافية السائدة داخل المجتمع أو عبر رؤية الشاعر للعالم[١٩]، ومن هنا فـ ((العمل الأدبي يدخل كعنصر جوهري في التحليل البنائي لروح العصر، كما يضفي عنصرًا اجتماعيًا وإيديولوجيًا يشكّل خلفية ثقافية تكمن تحت السطح أو خلف القناع))[٢٠]، وبذلك يكون النّص ليس مجرد حاملا للغةِ منتجهِ وإنّما ((يحمل رؤية للعالم، وأنّ هذه الرؤية على علاقة وثيقة بموقع صاحب النّصّ، أو فكره الاجتماعي، و بوضعيته الثقافية))[٢١]، وعندما يسلّط الشاعر الضوء على هذه المشكلات و يحاول التعبيرعنها، فأنّه ينحو إلى تطويع موقف تستشعر فيه الذات عدم توازنه، ليؤسس تجاه ذلك موقفًا متوازنًا[٢٢]، ممّا يؤدّي به إلى النكوص والعُزلة عبر ((النتيجة المباشرة للضغط الذي يفرضه العالم الطبيعي والاجتماعي))[٢٣].

فالشاعر ذلك الفنان الذي يقوم بمهمة جمع مخزون الطاقة الاجتماعية، واعادة صياغتها مكونا عبر مخيّلته عالما متحررا، ومحفزا افراد بنيته الاجتماعية على عدم تقبّل الواقع على علّاته، فيقوم نتيجة ذلك بإيجاد واقعًا بديلًا يوتوبيا خاليا من التناقضات[٢٤]، وهذا ما تشكّله رؤاه التي ((تنحت خصائصها من جماع التجربة الإنسانيّة التي يعيشها الشاعر في عالمنا المعاصر بتكوينه الثقافي والسيكلوجي والاجتماعي، وخبراته الجمالية في الخلق والتذوّق، ومعدّل تجاوبه أو رفضه للمجتمع، وطبيعة العلاقة بينه وبين أسرار هذا الكون))[٢٥]، ومن هنا فقد وجدنا أنّ نصوص فوزي كريم الشعرية تمتلك حساسيّة مفرطة تجاه الظواهر الاجتماعية التي شهدها في بلده، فهو من جيل شهد تحوّلات سياسية واجتماعية وثقافية كان لها الأثر الواضح في توجيه نصّه الشعري، يبرز ذلك في تذمّره المستمر نتيجة ما يحصل داخل هذه البنية، فـ (يرفع يده احتجاجًا)، ضد ما آلت إليه الأمور من شتّى أنواع التلوّن والأنانية والنفاق السياسي[٢٦]، ففوزي كريم لم ينظر إلى قضاياه الاجتماعية ((برؤية اجتماعية حزبية أو طبقية ضيقة، بل نُظر إليها برؤية شاعر يمتلك بُعدًا ثقافيًّا عميقًا، وجعل منها أهم مكونات قصيدته الشعريّة، دون أن يكون ذلك بصيغة مباشرة أو بطريقة ميكرفونية))[٢٧]، فهو الشاعر

الناقد الذي يمتلك الأدوات التي يعلن بها عن عبث العالم، وعن معاناة مجتمعه ونيله من الواقع محتجًا بإرادة التغيير[٢٨]، فنجده في قصيدته **(نداء الأمواج)** يقول :

**نزلت إلى الجمهور**

**الهواء ساخن، والمارة بلا هدف ...**

**وعبر الغبار رأيتُ الأمواج ترتطم بجدران المنازل[٢٩]**

يحاول الشاعر بهذه الكلمات إبراز عزلته، وذلك عبر رؤاه ونظرته للواقع، فدلالة الكلمات (الجمهور، الهواء ساخن، المارّة بلا هدف) تعني وقوف الشاعر كما المراقب الذي يشاهد الصورة كاملة بمعزل عن هذه التفاصيل، وهي حالة استرجاعية يستدعي بها الشاعر زمنا كان ساخنا بالأحداث والوقائع، في ظل ذلك نلحظ تشظي البنية الاجتماعية بسبب السلطة القمعية، التي أفقدت المجتمع الهدف، إذ ليس ثمة أمل لأن السلطة السياسية زادت من هشاشة البنية الاجتماعية، فزاد ذلك من تشتتها وانقسامها فهناك المجموع الذي يملأ الساحات، وهناك المارّة الذي فقدوا الجدوى والهدف، يجد الشاعر نفسه بخلاف ذلك، فيعود إلى تمثّل محنته، ومحنة من حوله، فيقول في قصيدة **(لا تقل أبكي لوحدي)** :

**هل أنا في محنة البحث عن المعنى**

**أم البحث عن الظل الذي يدفئ قلبي**

**إن بغداد على شرفة بابك**

**وطيور الخوف ـ هل تذكرها ؟ . تخرج من بين ثيابك ،**

**لمدى الصرخة ،**

**والصرخةُ في كلّ البيوت ،[٣٠]**

إنّ المحنة التي يمرُّ بها الشاعر ليست وليدةَ اللّحظة الآنية عند كتابته للنصّ، وإنّما هي محنة متجذّرة في أعماق الذات لديه، فما تزال صور المجتمع المقموع والبيوت التي تكتم ضجيجها، والخوف الذي يبادره منذ تلك اللحظة في مدينته بغداد، يتمثّل المشهد بكلّ صدامه وقسوته، فالقصيدة عند فوزي تولد بفعل استرجاعات لزمن استبدادي، قد رسّخ في أغواره اهتزازات وجدانية، تبثّ تأوّهاتها بين الحين والآخر، فهو بين زمنين يتوقف الأوّل ليدور الآخر، هي دوامة الذات بين زمنين يتجاذبان الشاعر في

لحظة واحدة، فمشاعر الهلع والكبت وصورة المجتمع الذي يتمزّق هي مهيمنات تدفع بالشاعر للانكفاء في بوتقة الذات[٣١]، حتّى يُصبح رهينة العُزلة، لأنّ تراكمات الكبت التي تضمنتها الذاكرة، تئد كلّ محاولة للانبعاث والخروج.

وإنّ ما عُرِفَ عن فوزي كريم أنّه شاعرٌ لا منتمٍ لأيّ حزب أو توجّهٍ أيديولوجي، فهذا لا يمنع من أن يكون الشاعر له رؤيته الخاصّة وموقفه الخاص بالقضايا الاجتماعية والثقافية، فقد جاءت نصوصه زاخرة بما هو اجتماعي وثقافي، وذلك لأنّ محنة الشاعر هي بالدرجة الأولى محنة المجتمع و الثقافة[٣٢]، وهذا من شأن المثقّف المستقل والمنعزل الذي يجد نفسه محاطا بمخالب السياسة، ووهج الفكر المؤدلج بكل مفارقاته، هي بلا شك مهيمنات أدّت وظيفة ضاغطة على المثقّف اللامنتمي[٣٣]، ففي قصيدة **(حسين مردان)** نجده يقول :

**ـ هلْ تريدُ اسْمه ؟**
**اسمُه في الهوية ..."حسين مردان"**
**واسمُه في الأزقّةِ "حسين مردان"**
**واسمُه في المقاهي ... "الاله..."**
**واسمُه حين يعتزلُ الناسَ**
**... "آه"** [٣٤]

يجد فوزي كريم في (حسين مردان) المعادل الموضوعي لشعر التمرّد والعُزلة، والذي بدوره يجسّد الوجه الآخر لمحنة المثقّف، وما آلت إليه ظروف الشاعر[٣٥]، حيث يتمثّل في هذا النص أمكنة تتقاسم الفضاء الاجتماعي والثقافي فـ (الأزقة) كمكان يسكنه البسطاء من الناس، و(المقاهي) أماكن يرتادها المثقفون، وشخصية حسين مردان كان لها الوقع النفسي داخل هذه البنى، لأنّه يرمز إلى طبيعة العلاقة بين الشاعر والمجتمع، والشاعر ومصير الثقافة[٣٦]، فكأنّما الشاعر هنا بمثابة الوعاء الذي امتلأ من هموم الناس، لذا عندما يختلي بنفسه يكشف عن وجه آخر غير وجهه في المقاهي والأزقة، يخرج حسراته آهاته وحده، في معزل عن الناس، عندها يخلع قناع المثقف والشاعر ليكشف عن آلامه وشكواه، إنّ فوزي كريم بوصفه شاعرًا يمتلك حسًّا عاليا ودقيقا عند وضعه اليد على قضايا

مجتمعه، وبنيته الثقافية، فقد كان يهتم بتلك النماذج المشردة التي رفضها المجتمع[٣٧] و يطالعنا في قصيدة **(الخروج الآخر)** حيث يقول :

**ـ ولِدنا ، وللرملِ تعويذةٌ في دمانا**

**بكينا ، وللدمع تعويذةٌ في بُكانا**

**ويفتحُ فينا المهاجرُ بوّابةً للرحيلْ ،** [٣٨]

يرمز الرمل في هذا النص لتفتت البنية الاجتماعية، إذ يكشف عن دلالة الاحساس بالضياع والتيه عبر الهجرة التي حملت أبناء بلده وشتتهم في المنافي البعيدة، فتعويذة الرمل هي ملازمة الرحيل المستمر دون موطن يأوي إليه، والدمع لصيقٌ هو بالتعويذة الأخرى التي تمثلت بحسرة الشاعر وألمه وبكائه، فالرمل وهو يمتص دماء التضحية، والدمع دلالة الحزن الأبدي والرحيل المشرع الأبواب للهجرة والضياع[٣٩]، بذلك تهيمن هذا التفاصيل على الفضاء النفسي للشاعر فينعزلُ غارقًا بإحساس الخيبة واللاجدوى، وفي نص آخر نجده يلتفت إلى تعرية الأفكار، كاشفا عن مفارقات الواقع السلبي، فيقول في قصيدة **(شجرة الحلم)** :

**ـ هل عرفتَ الجوعَ ؟**

**ـ الجوعُ صديقي**

**مُنذُ صارَ الخُبزُ جُرحًا في بلادي .**

**ـ والمياهُ ؟**

**ـ كلماتُ الأرض**

**ـ ... والشاعرُ ؟**

**ـ ... في الأفق إلهُ .** [٤٠]

ينفتح هذا النص على الحقوق المسلوبة في بنية الشاعر الاجتماعية، إذ يحمل النص مفارقة سلبية يقوم طرفاها على نقيضين لا يجتمعان الوفرة والفقر، فالعراق بثرواته الطبيعية من أنهار وأراض خصبة، تصبح فيه الأشياء البديهية محنة ومشكلة كبرى، فالخبز الذي أصبح يشكل الكابوس للإنسان العراقي كحاجة ضرورية في حياته صار جرحًا غائرًا في صميم المجتمع الذي يعاني الحرمان والفقر المدقع[٤١]، وهذا لم يكن يختص بفئة ليست بالكبيرة، وإنما غالبية الشعب العراقي تعاني هذا الجرح،

فالخبز صار يشكل أزمة داخل المجتمع سببها الجوع، والحالة ذاتها نجدها في ذات القصيدة حيثُ قوله :

**الفقرُ صحوٌ**

**غيرَ أنّ السيفْ**

**يجيئنا في الصيفْ** (٤٢)

يعدُّ الفقر عنصرًا مهيمنا على طبيعة المجتمع العراقي، حيث يقود الفقر إلى أزمات منها الجهل واضعاف القيم الاجتماعية وتفشي الأمراض، وإشاعة الفوضى والعنف المجتمعي(٤٣)، إذ يقود هذا الحال إلى الشعور باليأس وفقدان الأمل من الحياة والعيش في العُزلة، بهكذا عبارات راح فوزي كريم يتمثّل عُزلته بفعل المهيمن النسقي الذي أخذ يغمر ذاته بالحزن والألم، فيطالعنا في قصيدة أخرى بعنوان **(قراءة للتسول)** إذ يقول :

**عرفتُ التسوُّلَ ،**

**جالستُه ، ذات يومٍ بغارِ حِراءْ .**

**وكانَ الحمامُ لنا مِعْطَفًا ،**

**ثمَّ اهتديتُ إلى النفي ...** (٤٤)

يُوصف (التّسوّل) بأنّه أحد الظواهر الاجتماعية السلبية، والتي تحدث نتيجة تردّي الواقع الاقتصادي وتفشي الفقر والحرمان، فيقودنا هذا النص إلى محاورة يُقيمها الشاعر مع (التسوّل)، حيث يظهر أنّ الشاعر قد جالسه وتعرّف عليه، والواضح من سياق النصّ أنّ التسوّل الذي يقصده الشاعر ليس التسوّل بمعنى العري المادّي فقط، وإنّما يعني به أيضًا العري الروحي، ورمزية الغار الذي احتضن هذا الحوار تعني المنفى الذي يسلب من الشاعر كلّ ما يملكه ويتركه تحت مطرقة العُزلة والضياع، فالشاعر هنا يعاني الفقدان والعجز عن تبديل الواقع، فالحمام الذي ذكره ما هو إلّا رمز للحرية والسلام المفقود داخل الذات(٤٥)، ذلك ما توقده الذاكرة من مشاهد استهداف للبنية الاجتماعية، جعلت من الشاعر يندب ويرثي تلك اللحظات وتلك المآسي فيقول في قصيدة **(أغنية في القتل)** :

**وَعن القتل أُغنّي ،**

**ودمِ الأَحياءِ المُهْملِ بين الياقةِ**

**والعنُقِ أُغنّي ،**

**والتهْمةِ وهي تزاحم خطوَ الناس أُغني :**

**يا عُرفَ الخوفِ الحاسرِ**

**والدمعِ الخاسرِ**

**والجوعَ المجانْ**

**خُذنا للموت كما يَتساهلُ جودُ الموتْ .** (٤٦)

ينكشف النص عن مفارقة مأساوية يقودها عنوان النص الموسوم بـ (أغنية في القتل)، تفصح عن حجم المعاناة التي شهدها عصر الشاعر وجيله، حيث تبرز عُزلة الشاعر فوزي كريم في هذا النص من وقوف الشاعر على تعرية طرق وأساليب السلطة القمعية، فالغناء الذي يعنيه هو البكاء والدموع، لأن من البديهي أمام هكذا مشاهد ليس للذات إلا أن تندب واقعها ونفسها كما الغناء، دلالة على استمرارية الحزن، فالقتل نتيجة الحروب يخلف واقع مأساوي كئيب، أدّى ذلك بفقد العلاقة بين المجتمع والسلطة، فالمفارقة السلبية هنا أن السلطة أخذت من المجتمع الآخر المعادي، فزرعت عيونها بين مفاصله حتى انهارت القيم، فالقصيدة هنا تظهر شكوى الشاعر وأنينه من الواقع الذي تبدلت معطياته وأصبح متوحش مفترس للإنسان ولكرامته، إذ يركز فوزي كريم في إظهار المأساة التي تعرضت لها بيئته الاجتماعية ((على العناصر الشعورية والنفسية ليعبر عن الصراع والاضطراب الذي يغزو المجتمع المعاصر مجسما بشكل حي فكرتي العدم والوجود، الفناء والبقاء، مستغلا بذلك مظاهر التناقض في الحياة والكون في تشخيص هذا التوتر))(٤٧)، ليرجح عبر ذلك فكرته فيعرض لكل مشاكل مجتمعه احساسا منه بمسؤولية تجاه المجتمع وتسليط الضوء على الأوضاع المأساوية المشوّشة، فنجده يقول :

**يا بيتَ المالْ ،**

**لو تُثمرُ في يديكَ عيونُ الأطفالْ**

**لو يغفو هذا السلطانُ بعمتهِ**

**ويموتُ شقاءا**

**لو تُقلبُ أرضُكَ يا بيتَ المالِ سماءا ،**

**لو تُطفَأُ نجمةُ أعصابك بالأوحالْ ! [٤٨]**

يريد فوزي كريم وضع يده على مفارقات سلبية يجد بها السبب الرئيس في مأساة المجتمع، ففوزي الشاعر الطامح الحالم والذي تحطمت أحلامه وطموحاته أمام الإحباط وخيبة الأمل التي ترافقه ومحيطه السوسيولوجي، فالمرحلة التي وعاها فوزي كريم، كانت تمثل حقبة الضياع والمحن والجوع والحرمان، والطفولة الضائعة[٤٩]، والملاحظ في هذ النص، أنّ الشاعر يوظّف كلمة (لو) بمعاودة مستمرة، وهذا متأتٍ من بلوغه أقصى درجات اليأس، فيحاول عبثا قلب الواقع وتغييره، فليس ثمة شيء يشغل فوزي كريم غير الواقع المُدمّر، هو ذاته الواقع الذي يجعل منه أسير العُزلة والضياع، والحالة عينها في قوله :

**وجاءني الإنسان**

**قصيدةً مليئةً بالموتِ والرمادْ**

**وجاءت القصيدة ،**

**امرأة تحملُ في يمينها**

**حمامةً بيضاء أو مكيدة . [٥٠]**

يحمل هذا النص رؤيا سوداوية، فكل انبعاث محكوم عليه بالوأد، وكل سلام يحمل وجها آخرا مزيفًا، ليس هناك تصور لدى الشاعر سوى العدم، فمحنة الإنسان هي محنته في الحياة وهذا الرماد صورة تحمل في دلالتها اليأس والخيبات، فليس هناك ما يقبل عليه الشاعر من تجدد أو انبعاث، والمرأة التي يرمز فيها للحياة، هي وجه آخر للخداع والمكر، يحكم الشاعرَ في هذا النص احساس عال بالقلق الإنساني، وهو إحساس يمثل سمة بارزة في شعر الحداثة، وفوزي كريم يهمه هذا الوجه الشاحب للإنسان وللحياة وللمجتمع، وهذ الحس الذي يمتلكه فوزي كريم في نقده للحياة عبر رصد الزوايا المعتمة وتسليط الضوء عليها قد جعل منه شاعرًا وحيدا يعاني العُزلة والقلق المستمر، حيث جعله ينظر للإنسان كائن متمرد ظالم، وللمرأة بأنّها مكيدة يزينها الحب والسلام المزيفان[٥١].

والملاحظ في شعر فوزي كريم أنّ الشاعر يخشى من وقوع قصيدته في منزلق ثقافي أيديولوجي، فنجده يحاول أن يبقي القصيدة خالية من أي هتاف يربطها بفكر أو منحنى سياسي وثقافي معين، وإيمان فوزي كريم برسالة الشعر السامية في الكشف عن فلسفة الحياة والمجتمع والثقافة، كان

من أشد التحديات لفوزي، فعلى الرغم من وعورة المنحدر الاجتماعي والثقافي بسبب ما يحمله هذا المنحنى من أبعاد تأخذ بالقصيدة لمزلق أيديولوجي ضيق، وهو ما لا يريده الشاعر، لكنّه لم يجرّد القصيدة من مضمونها الاجتماعي والثقافي، بل حاول في دلالاتها العميقة أن ينأى بها عن هذ المنحنى(٥٢)، ليبقي القصيدة منعزلة لا تمثل سوى إنسانيتها، وبقائه منعزلا أشعل في روحه جمرة الحزن الأبدي، فيطالعنا في قصيدة **(قوس قزح في بالون الوحشة)** يقول:

**هو الحزنُ لي**

**زورقٌ من سلال الفواكه ، يشتاقني**

**حينَ أغفو على لا مكانْ ،** (٥٣)

إنّ قول الشاعر : (هو الحزنُ لي) دلالة بارزة على اعتراف الشاعر بانتمائه للحزن، وهذا الانتماء يتشارك فيه الشاعر والحزن معًا، فالحزن منتمٍ لفوزي، وفوزي منتمٍ للحزن، أي هناك تبادل مزدوج في حتمية الانتماء، فقوله: (يشتاقني) هو تأكيد من الشاعر على متانة هذه العلاقة، إذن، فالشاعر يختزل الحزن ويملكه في ذاته(٥٤)، فتصريح الشاعر بهذا الانتماء ليس إلّا وعيًا منه في فهم الواقع والمجتمع، الأمر الذي زاد من محنة الذات وأثقلها بالتفكير في الإحساس بمسؤوليتها وعجزها عن التغيير الذي أسلمها للعُزلة(٥٥).

ولأنّ فوزي كريم شاعرٌ لا يملك أمام هذا الصراع الذي يلتهم المجتمع والثقافة سوى شعره، والذي يعي بأنَه لا يملك القدرة على تحقيق التمرد وتحقيق الرفض، يفضل الصمت وينعزل تدريجيا، فمن شاكلة ذلك قوله في قصيدة **(مرثية الحمل الضّال)** :

**ولأنّا نعرفُ أنّ الشعرَ أباطيلْ**

**لنْ يسترَ عورةَ هذا الجيلْ ،**

**واللّغةُ مخالبْ**

**في كفِّ الغالبْ**

**فضّلنا الصمتَ !** (٥٦)

ينكشفُ النصُّ عن مفارقة تتحدّث عن موقف الشاعر أما هذه الأكوام من البشر الهائلة التي ترقد في تعاستها، فتطحنها وتسحقها الذلّة ويحيطها الحرمان، الأمر الذي يقود الشاعر للشعور بالعجز

والضعف والاحتقار، فمادام الشعر غير قادر على ستر العورة وسد فجوات المشكلة فلا جدوى منه ولا نفع[٥٧]، فضلا عن استعمال الشعر وسيلة لتزييف الواقع والحقيقة، بنفس سلطوي تعبوي يبيع فيه الشاعرُ شرفه، بهكذا مهيمنات تفرض سلطتها على الذات، لا يجد الشاعر في نفسه الخروج والتمرد عليها، لأنّ اللغة أصبحت مقيدة والشاعر تخلى عن رسالته الأخلاقية، فأمام هذه الثقافة لا يجد الشاعر لوظيفة الشعر الأساسية من دور، لأن وظيفة الشعر عند فوزي كريم إنسانية بالدرجة الأولى[٥٨].

وتستمر معاناة الذات أمام واقعها المرير، فتتسع متاهات الشاعر في لحظة تذكر لجيله الذي تكبل بنظام القمع، فنجده يقول في قصيدة **(الشاهد)** :

**مِنْ أي شتاءٍ تهبطُ هذي الرعشةُ فوقَ كتابِك؟**
**نبضاتُ القمرِ الأسودِ بينَ أصابِعكَ السوداءْ**
**لا تَتركُ أثرًا للشعر الصافي ،**
**للركضِ على أرصفة الوطنِ المتعافي ،**
**للضحكِ ، كأنّك يا جيلي المحزون**
**لا تسمعُ إلّا صوتَ أوامرَ في إلقاء القبْضِ ،**
**وصدى شعراءٍ**
**باعوا في صالاتِ العرضِ**
**شرفَ الأرضِ . [٥٩]**

يعاني فوزي كريم من هيمنة المشهد القمعي، فنجدُ أنّ هذا المشهد تعدّى من كونه قابع في ذاكرة فوزي كريم إلى تمثله أمامه حتى أصبح واقعا تعيشه الذات وتنفعل مع لحظته، لأن تساؤل الشاعر في بداية النص يوحي بتكرار هذا المشهد بكل تفاصيله، بشخصياته وأصواته ومعاناته، فالذات لم تفلح في أن تتجاوز هذه المحنة، لأن الشاعر في همّه كعضو من بنية اجتماعية وثقافية شاركها مرارته وحرمانه، يعاني قساوة المشهد الذي تعيشه الذات، فهو مشهد شديد القتامة، فقوله : (نبضات القمر الأسود)، هو كسر للنمط المنطقي وصورة غير مألوفة تعطي انعكاس سايكولوجي يدلل برغبة الذات تجاوز هذا الواقع والهروب منه[٦٠]، فهو مشهد يسلب الشاعر لحظاته وحاضره، فلا يترك له ان

ينسى أو أن يتعافى، وبذلك يكون فوزي كريم ليس شاهدًا على حقبة مأساوية مرّت على تاريخ العراق فحسب، بل راح يبلغُ ما تمخضت عنه هذه الحقبة فهو الشاعر والمثقف الذي وعى مرحلته بكل حيادية.

---

[١]) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عزّ الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، بيروت، ط ٣: ٣٧٣ .

[٢]) علم الاجتماع الادبي (منهج "سوسيولوجي" في القراءة والنقد)، د. أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية : ٧١ .

[٣]) يُنظر : تيارات نقدية محدثة، اختيار و ترجمة وتقديم، جابر عصفور، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ط ٢، ٢٠٠٩م: ٣٥ .

[٤]) سوسيولوجيا الأدب، بول آرن وآلان فيالا، تر، الدكتور محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م: ٤٠. ٤١ .

[٥]) يُنظر : الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة ، محمد مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط١ ،٢٠٠٤م : ٦٥ .

[٦]) النقد الروائي و الأيديولوجيا ، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي ، د. حميد لحمداني ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، آب ١٩٩٠ : ٤٩ .

٧) في العُزلة والأدب وجماليات الصمت، موريس بلانشو وآخرون، ترجمة وتعليق وإعداد، خالد حسين، دار تكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٢٣م: ٤٨ .

٨) يُنظر : المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغيير الأحوال والعلاقات، الدكتور حلمي بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠م: ٢٨١ .

[٩]) يُنظر : سوسيولوجيا الأدب ، بول آرون و أرون فيالا ، تر، محمد علي مقلد :٣٢ .

[١٠]) أزمة الشعر في العصر الحديث ، محمد زكي العشماوي ، فصول مجلة النقد الأدبي ، مج ١، ع ٤، يوليو، ١٩٨١م: ١٥٤ .

[١١]) يُنظر : انفتاح النص الروائي ، النّصّ والسياق ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٢م : ١٣٤ .

[١٢]) يُنظر : اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د . إحسان عباس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت : ١٦٠.

[١٣]) حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر ، كمال خير بك ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦م : ١٠٢ .

[١٤]) يُنظر : المجتمع العربي المعاصر ، بحث استطلاعي اجتماعي ، الدكتور حليم بركات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٦ ، ١٩٩٨م : ٣٠ .

[١٥]) نقلا عن : سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، الدكتور عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٣، ٢٠١٦م: ٢٨ .

[١٦]) يُنظر : مفهوم الإيديولوجيا ، عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٨ ، ٢٠١٢م : ١٠ .

[١٧]) يُنظر : الخطاب الشعري بوصفه أيديولوجية، أنتوني إستوب، تر، حسن البنا، فصول مجلة النقد الأدبي، مج ٥، ع ٣، أبريل، ١٩٨٥م: ٩٩.

[١٨]) يُنظر : نظرية الأدب ، رينيه وليك ، آوستن وآرن : ١٣٢ .

[١٩]) يُنظر : التفسير و التفكيك و الأيديولوجية و دراسات أخرى ، بيتر بروك و آخرون ، تقديم ، نهاد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م : ٦٢ .

[٢٠]) مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي ، محي الدين أبو شقرا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ٢٠٠٥م : ٧٩ .

[٢١]) في معرفة النّصّ ، يمنى عيد ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥م : ١٢٤

[٢٢]) يُنظر : تيّارات نقدية محدثة ، اختيار و ترجمة ، جابر عصفور : ١٠٧

[٢٣]) العزلة والمجتمع، نيقولاي برديائيف، تر، فؤاد كامل عبد العزيز، مر، علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م : ١٥٨ .

[٢٤]) يُنظر : تيارات نقدية محدثة ، اختيار و ترجمة ، جابر عصفور : ٧٨ .

[٢٥]) شعرنا الحديث .. إلى أين ..؟ ، د . غالي شكري ، دار الشروق ، ط ٣ ، ١٩٨٩م : ٧٦ .

[٢٦]) يُنظر : أنسنة الشعر، مدخل إلى حداثة أخرى: فوزي كريم نموذجًا، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٦م:٧٢ .

[٢٧]) المرايا والدخان ، دراسة في شعر فوزي كريم، ياسين النصير، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، بغداد، ط ١، ٢٠١٧م : ١٢٢. ١٢٣ .

[٢٨]) يُنظر : حركيّة الحداثة في الشعر العربي المعاصر ، د . كمال خير بك : ١٣١ .

[٢٩]) الأعمال الشعرية: ٢ / ٣٨ .

[٣٠]) الأعمال الشعرية : ٢ / ٤٠ .

[٣١]) ينظر : الهوية في شعر فوزي، شهد منصور مجيد،( رسالة ماجستير)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ٢٠٢٢م : ١١٣ .

[٣٢]) يُنظر : المرايا والدخان : ١٢١ .

[٣٣]) يُنظر : مقالات في الشعر، فاطمة المحسن، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط ١، ٢٠٢١م: ١٧٢ .

[٣٤]) الأعمال الشعرية :٢ / ٨٦ .

[٣٥]) يُنظر : البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم، سامي ناجي، منشورات إيكار، بغداد، ط ١، ٢٠٢٠م : ٢٥٧.

[٣٦]) يُنظر : شجر الغابة الحجري، كتابات في الشعر، طرّاد الكبيسي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧٥م: ٢٨٠ .

[٣٧]) ينظر : المرايا والدخان : ٩٥ .

[٣٨]) الأعمال الشعرية : ٢ / ١٤٣ .

[٣٩]) يُنظر : المعنى والنص من التشكيل إلى الدلالة، دراسة موضوعاتية في شعر الستينات في العراق، د. زينة محجوب، دار قناديل، بغداد، ٢٠٢٣م : ٣٠٧ .

[٤٠]) الأعمال الشعرية : ٢ / ١٥٢ .

[٤١]) ينظر : الهوية في شعر فوزي كريم : ٩٩ .

[٤٢]) الأعمال الشعرية : ١٥٠ .

[٤٣]) ينظر : سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، صاحب الربيعي، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧م: ٨٠ .

[٤٤]) الأعمال الشعرية : ٢ / ١٧٥ .

[٤٥]) يُنظر : شعراء البيان الشعري، خالد علي مصطفى، دار صفحات، سورية، ط ١، ٢٠١٥م: ١٢٩ .

[٤٦]) الأعمال الشعرية : ٢ / ١٩٧ .

[٤٧]) لغة الشعر العراقي المعاصر، عمران الكبيسي : ١٩٩ .

[٤٨]) الأعمال الشعرية : ٢ / ٢٤٦ .

[٤٩]) يُنظر : شجر الغابة الحجري : ٢٧٥ .

[٥٠]) الأعمال الشعرية : ٢ / ٢٤٦ .

[٥١]) يُنظر : بنية الخطاب النصي، جمالية الصورة وفضاءات الدلالة، بهنام عطا الله : ١٣٣ .

[٥٢]) يُنظر : المرايا والدخان : ١٦٥ .

[٥٣]) الأعمال الشعرية : ٢ / ٢٠٠ .

[٥٤]) يُنظر : المرايا والدخان : ١٣٦ .

[٥٥]) يُنظر : الشعر العربي المعاصر : ٣٥٧ .

[٥٦]) الأعمال الشعرية : ١ / ٣٢ .

[٥٧]) يُنظر : في السنوات اللقيطة شيء أكثرُ من الحُزن، شمس الدين محمد علي، مقال في جريدة السفير.

[٥٨]) يُنظر : أنسنة الشعر : ٨٣ .

٥٩) الأعمال الشعرية : ٢ / ٣٠ .

[٦٠]) يُنظر : لغة الشعر العراقي المعاصر، عمران خضير حميد الكبيسي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨٢م: ٢٠٦ .

## مصادر ومراجع البحث .

١.اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د . إحسان عباس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت .
٢.أزمة الشعر في العصر الحديث ، محمد زكي العشماوي ، فصول مجلة النقد الأدبي ، مج ١، ع ٤، يوليو، ١٩٨١م .
٣.الأعمال الشعرية، ج ١، ٢، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠١م .
٤.أنسنة الشعر، مدخل إلى حداثة أخرى: فوزي كريم نموذجا، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٦م .
٥.انفتاح النص الروائي ، النّصّ والسياق ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٢م
٦.البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم .
٧.بنية الخطاب النصي، جمالية الصورة وفضاءات الدلالة، بهنام عطا الله، تموز ديموزي، دمشق، ط ١ ،٢٠٢٠م .

٨.التفسير و التفكيك و الأيديولوجية و دراسات أخرى ، بيتر بروك و آخرون ، تقديم ، نهاد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م .
٩.تيارات نقدية محدثة، اختيار و ترجمة وتقديم، جابر عصفور، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ط ٢، ٢٠٠٩م .
١٠.حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر ، كمال خير بك ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦م .
١١.الخطاب الشعري بوصفه أيديولوجية، أنتوني إستوب، تر، حسن البنا، فصول مجلة النقد الأدبي، مج ٥، ع ٣، أبريل، ١٩٨٥م .
١٢.سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، صاحب الربيعي، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧م .
١٣.سوسيولوجيا الأدب، بول آرن وآلان فيالا، تر، الدكتور محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م .
١٤.سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، الدكتور عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٣، ٢٠١٦م.
١٥.شجر الغابة الحجري، كتابات في الشعر، طرّاد الكبيسي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧٥م .
١٦.الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عزّ الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، بيروت، ط ٣
١٧.شعراء البيان الشعري، خالد علي مصطفى، دار صفحات، سورية، ط ١، ٢٠١٥م .
١٨.شعرنا الحديث .. إلى أين ..؟ ، د . غالي شكري ، دار الشروق ، ط ٣ ، ١٩٨٩م .
١٩.العزلة والمجتمع، نيقولاي برديائيف، تر، فؤاد كامل، مر، علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م .
٢٠.علم الاجتماع الادبي (منهج "سوسيولوجي" في القراءة والنقد)، د. أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية .
٢١.في السنوات اللقيطة شيء أكثرُ من الحُزن، شمس الدين محمد علي، مقال في جريدة السفير.
٢٢.في العُزلة والأدب وجماليات الصمت، موريس بلانشو وآخرون، ترجمة وتعليق وإعداد، خالد حسين، دار تكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٢٣م .
٢٣.في معرفة النّصّ ، يمنى عيد ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥م .
٢٤.لغة الشعر العراقي المعاصر، عمران خضير حميد الكبيسي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٢م .
٢٥.المجتمع العربي المعاصر ، بحث استطلاعي اجتماعي ، الدكتور حليم بركات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٦ ، ١٩٩٨م .
٢٦.المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغيير الأحوال والعلاقات، الدكتور حلمي بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠م.
٢٧.مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي ، محي الدين أبو شقرا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ٢٠٠٥م .
٢٨.المرايا والدخان، دراسة في شعر فوزي كريم، ياسين النصير، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، بغداد، ط ١، ٢٠١٧م .

٢٩.المعنى والنص من التشكيل إلى الدلالة، دراسة موضوعاتية في شعر الستينات في العراق، د. زينة محجوب، دار قناديل، ط ١، ٢٠٢٣م .
٣٠.مفهوم الإيديولوجيا ، عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٨ ، ٢٠١٢م .
٣١.مقالات في الشعر، فاطمة المحسن، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط ١، ٢٠٢١م .
٣٢.نظرية الأدب ، رينيه وليك ، آوستن وآرن، تعريب، الدكتور عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٢م .
٣٣.النقد الروائي و الأيديولوجيا ، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي ، د. حميد لحمداني ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، آب ١٩٩٠.
٣٤.الهوية في شعر فوزي كريم، شهد منصور حميد، (رسالة ماجستير)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ٢٠٢٢م .
٣٥.الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة ، محمد مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط١ ،٢٠٠٤م .